موقف الخلفاء الراشدين وبعض الصحابة من الشعـــر

د. جاسم خلف صالح
جامعة تكريت

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن موقف الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام من الشعر والشعراء ينسجم وموقف القرآن الكريم، وموقف الرسول ﷺ من هذه القضية، وإن مصادرنا التاريخية والأدبية حفظت آراءهم وأفكارهم وكل ما يتعلق بالشعر، وسجَّلتْ ما ينسب إليهم من شعر، مع الإشارة إلى الشعر الذي يشك في نسبته كما في السيرة النبوية لابن هشام. وكانوا رضي الله عنهم يتفاوتون فيما بينهم من حيث عنايتهم بالشعر ونقده. ومن خلال البحث وجدنا الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أكثر عناية بالشعر وأنفذهم بصيرة. وإنَّ إشارته حول الشعر والشعراء تمثل أوليات النقد الأدبي في عصر صدر الإسلام. يُروى أن الحسن البصري سُئل يوماً : (أكان أصحاب رسول الله ﷺ يمزحون؟ قال : نعم ويتقارضون من القريض وهو الشعر)[١].

ويروي عن ابن عمر قوله : ((ولا يُنْكِرُ الحسن من الشعر أحدٌ من أهل العلم، ولا من أولي النهى، وليس أحدٌ من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر، أو تمثل به أو سمعه فرضية))[٢]. ولا غرابة في ذلك لأن تذوق الشعر وإنشاده والاستماع إليه، ونقده كان سجية نشأوا عليها في الجاهلية واستمروا عليها في العصر الإسلامي، فكانوا يتمثلون بالشعر في كل مناسبة تتعرض أمامهم، وكانوا يتناشدون الشعار في مسجد رسول الله ﷺ ، يروى عن جابر بن سمرة قوله : ((جالستُ رسول الله ﷺ أمثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الأشعار في المسجد وأشياء من أمر الجاهلية، فربما تبسم رسول الله ﷺ))[٣]. وسنعرض موقف الخلفاء الراشدين وبعض الصحابة رضي الله عنهم من الشعر والشعراء.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

كان أبو بكر الصديق ﷺ محبوباً في قومه ((وكان اعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر ... وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه، وتجارته، وحسن مجالسته فجعل يدعو إلى الله ﷻ وإلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه))[٤]. وهو أعلم قريش بالأيام والأنساب[٥]. ولذلك فإن رسول الله ﷺ بعث حساناً إليه قائلاً: ((أستعن بأبي بكر، فإنه علامة قريش بأنساب العرب))[٦] وكان ﷺ كثير الحفظ، كثير التمثل بالشعر الجاهلي. روي عن أبي وداعة قوله:[٧] ((رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر عند بابٍ، فمر رجل وهو يقول:

يا أيُّها المحوِّل رحلَه أَلاَ نزلتَ بآل عبد الدار
هبلتك أُمك لو نزلتَ برحلهم منعوك من عدم ومن إقتارِ

فالتفت رسول الله ﷺ إلى أبي بكر قائلاً: أهكذا قال؟ قال أبو بكر: لا والذي بعثك بالحق، ولكنه قال:

يا أيُّها الرجل المحوّل رحلَهُ ألا نزلت بآل عبد مَنَافِ
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن اقراف
الخالطين فقيرَهم بغنيِّهم حتى يعود فقيرهم كالكافي

ومما يدل على كثرة حفظه ﷺ، إنه كان يصحح الأبيات أو أنصاف الأبيات التي كان ينشدها رسول الله ﷺ مكسورة الوزن، فعندما تمثل النبي ﷺ ببيت أخي بني قيس (طرفة بن العبد) فجعل أخره أوله، قال له أبو بكر : ليس هكذا، فقال النبي ﷺ: ((إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي له))[٨]. ويروي عن الحسن البصري[٩]: ((إن النبي ﷺ كان يتمثل بصدر هذا البيت على هذه الصورة:

كفى بالشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال أبو بكر: إنما قال الشاعر:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال عمر: أشهد أنك رسول الله يقول الله ﷻ : ((وما علمناه الشعر وما ينبغي له))[١٠]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت[١١]: ((دنوتُ من أبي بكر، فقلت له: كيف تَجِدُك يا أبت؟ فقال:

كل امرئٍ مُصبّحٌ في أهله والموت أدنى من شِراكِ نَعْلِهِ

وممن روى له رضي الله عنه بعض الشعار ابن إسحاق إلى أن ينسب إليه قصيدة في غزوة عبيدة بن الحارث، مطلعها:

أمِنْ طيفِ سلمى بالبِطاح الدّمائثِ أرِقْتَ وأمرٍ في العشيرة حادثِ

وقال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبي بكرﷺ [١٢]. ويبدو أن الذي دفع ابن إسحاق إلى أن ينسب هذه القصيدة لأبي بكر شعر ابن الزبعرى الذي ردّ فيه على أبي بكر، ومنه قوله[١٣]:

فابلغ أبا بكر لديك رسالة فما أنت عن أعراض فهر بماكثِ

وروى ابن إسحاق شعراً لأبي بكر الصديق ﷺ في غزوة عبد الله بن جحش، وقال ابن هشام هي لعبد الله بن جحش[١٤]. وقال ابو بكر ﷺ يرثي رسول الله ﷺ :[١٥]

يا عين فابكي ولا تسأمي وَحقُّ البكاءُ على السيِّدِ
علي خير خِنْدَفٍ عند البلا ءِ أمسى يغيب في الملحد
فليت الممات لنا كلنـا وكنا جميعاً مع المهتدي

ونسبت له أشعار أخرى[١٦].

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أكثرهم عناية بالشعر، قال فيه ﷺ : ((كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحُّ منه))[١٧] وهو ﷺ الذي يوجه الناس إلى تعلمه، حيث يقول : ((تعلموا الشعر، فإن فيه محاسن تبتغى، ومساوئ تتقى))[١٨] وكان ﷺ ((من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة))[١٩].

وكان ﷺ يدرك قيمة الشعر ومكانته، وهو عنده من أفضل الصناعات، لأنه وسيلة جيدة للتعبير، يمكن من خلالها التأثير في النفوس، واستمالة القلوب، يقول: ((أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها في حاجاته يستعطف بها قلب الكريم، ويستميل بها قلب اللئيم)) [٢٠].

ولعمر ﷺ إضافة إلى ما ذكرناه إشارات نقدية يقف عندها كل النقاد الذين كتبوا عن النقد الأدبي في القرن الأول الهجري، وكانت ملاحظاته حول شعر زهير بن أبي سلمى قد أخذت قصب السيف عند النقاد، فهو من المعجبين بشعر زهير، ولذلك قال عنه ((كلن لا يعاظل بين الكلام ولا يتبع وحشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه))[٢١]. والمحاورة التي جرت بينه وبين أحد أبناء هرم بن سنان الذي دخل عليه ((فقال له: من أنت؟ قال: إنا هرم بن سنان. قال صاحب زهير؟ قال نعم. قال: أما أنه كان يقول فيكم فيحسن. قال: كذلك كنا نعطيه فنجزل. قال: ذهب ما أعطيتموه وبقي مما أعطاكم))[٢٢]

وقيل: إن عمر بن الخطاب ﷺ قال لابنةِ هرم بن سنان: ((ما وهب أبوك لزهير؟ قالت: أعطيناه مالاً وأثاثاً أفناه الدهر. قال: لكن ما أعطاكموه لا تفنيه الدهور))[٢٣]. وكان زهير كثير المدح لهرم بن سنان، يروى أن بنتاً لِسنان بن أبي حارثة رأت بنتاً لزهير بن أبي سلمى في بعض المحافل، وإذا لها شارة وحال حسنة، فقالت: قد سرني ما أرى من هذه الشارة والنعمة عليك، فقالت: إنها منكم، فقالت: بلى والله لكِ الفضل، أعطيناكم ما يفنى، وأعطيتمونا ما يبقى)) [٢٤].

وهو لم يعجب بشعر زهير حسب إنما كان يتذوق الشعر العربي ويرتاح لسماعه إنشاده، قال ﷺ: ((الشعر جزل من كلام العرب، يسكن به الغيظ وتطفأ به الثائرة، ويتبلغ

به القوم في ناديهم، ويعطى به السائل)) [٢٥]. وليس هذا وحسب، إنما كان يدعو إلى حفظ الشعر وإلى روايته، أخبر المفضل عن أبيه جده قال: ((قال عمر بن الخطاب ﷺ لابنه عبد الرحمن: يا بني صِلْ رَحِمك، واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك، فإنه مَنْ لم يعرف نسبه لم يصل رحمه، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤدِّ حقاً، ولم يغترف أدباً)) [٢٦].

وعنه و عن أشياخه قالوا: ((قال عمر بن الخطاب ﷺ : أرووا من الشعر أعفه، ومن الحديث أحسنه، ومن النسب ما تواصلون عليه، وتُعرفون به، فُربّ رحم مجهولة قد عُرفت فوصلت، ومحاسن الشعر تدلُ على مكارم الأخلاق وتنهى عن مساويها))[٢٧].

وعمر ﷺ له رأي بشاعرية النابغة الذبياني، يروى أنه قال: ((أي شعرائكم يقول:

فلستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمُّهُ على شَعَثٍ، أيُّ الرجال المهذَّبُ

قالوا: النابغة قال: هو أشعرهم[٢٨].

وفي رواية أخرى قال : هو أشعر شعرائكم[٢٩].

وكان ﷺ قد تأثر برثاء متمم بن نويرة لأخيه مالك، لأنه كان يتسمُ بصدق العاطفةٍ وقوةِ التجربةِ وقدرة التعبير، يروى انه قال له: ((ما بلغ من جزعك على أخيك؟ – وكان متمم أعور – قال : بكيت عليه بعيني الصحيحة حتى نفد ماؤها، فأسْعَدَتْهَا أختُها الذاهبة، فقال عمر لو كنتُ شاعراً لقلتُ في أخي مما قلتَ. قال: يا أمير المؤمنين، لو كان أخي أُصِيبَ مُصابَ أخيك ما بكيتُه. فقال عمر ﷺ : ما عزّاني أحد عنه بأحسن مما عزّيتني)) [٣٠].

وكان ﷺ يدرك دور الشعر في الذود عن حياض الدين، لذلك نراه يحرض حسان بن ثابت على هجو هند بنت عتبة لأنها كانت ترتجز وتذكر ما صنعت بحمزة[٣١]. وعندما اطلع ﷺ على أبيات النعمان بن عدي، الذي كان قد استعمله على ميسان من أرض البصرة التي يقول فيها:

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها بميسان يسقى في زجاج وختم

إذا شئت غنتني دهاقين قريةٍ ورقاصة تجذو على كل منسم

إلى أن يقول:

لعل أمير المؤمنين يسوءُهُ تنادمنا في الجوسق المتهدِّمِ

قال ﷺ: ((نعم والله إن ذلك ليسوءني، فمن لقيه فَليخبره أني قد عزلته. فلما قدم عليه اعتذار إليه وقال: والله يا أمير المؤمنين، ما صنعت شيئاً مما بلغك أني قلته قط، ولكنني أمراً شاعراً، وجدت فضلاً من قول، فقلت فيما تقول الشعراء، فقال له عمر: وأيّم الله، لا تعمل لي على عمل ما بقيت وقد قلتَ ما قلت)) [٣٢].

وكان ﷺ يقف ضد الهجاء المقذع الذي يعترض به أصحابه للآخرين، وهو عندما يُعاقب هؤلاءِ الشعراء لهجائهم الناس إنما يتجلى أمامه موقف النبي ﷺ الذي يتمثل بقوله: ((من قال في الإسلام هجاء مقذعاً فلسانه هدر)) [٣٣].

ولذلك قال للحطيئة لما أطلقه من حبسه إياه بسبب هجائه الزبرقان بن بدر: ((إياك والهجاء المقذع، قال: وما المقذع يا أمير المؤمنين؟ قال: المقذع أن تقول هؤلاء وأشرف، وتبني شعراً على مدح لقومٍ وذمٍ لمن تعاديهم، فقال: أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم مني بمذاهب الشعر)) [٣٤].

وكان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ قد قال له عند حبسه: يا خبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين، فقال وهو محبوس:

ماذا تقول لافراخٍ بذي مرخٍ زُغْبُ الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ
ألقيتَ كاسِبَهُم في قعرِ مظلمةٍ فأغفر، عليك سلام الله يا عمر

فرق له عمر ﷺ وخلى سبيله وأخذ عليه ألا يهجو أحداً من المسامين[٣٥]. وعمر ﷺ يقدر الشعر إذا انسجم مع القيم والفضائل الإسلامية، أما إذا تجاوز المعاني الإسلامية فيرفضه، بل ويعاقب عليه، يتضح لنا ذلك من خلال موقف عمر بن الخطاب ﷺ من شعر عَبْدُ بني الحَسحاس، فعندما أنشد الشاعر قوله:

عميرة ودع، إن تجهزت غادياً كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال عمر ﷺ : ((لو قلت شعرك مثل هذا أعطيتك عليه)) وعندما تجاوز الحياء في شعره قال له: ((ويلك إنك مقتول)) (٣٦).

وكان ﷺ يتأثر بالشعر ويتخذ الأحكام المناسبة عند سماعه، ويحقق أماني الشاعر إذا كان الأمر يتعلقٍ بقضية إنسانية، وقد مر بنا موقفه مع الحطيئة عندما استرحمَهُ على أفلاذ كبده، بأبياته المشهورة، فعفا عنه. وكان قد مضى إليه الشاعر أمية بن حرثان، فشكاه شيخوخته وعجزه بأبيات شعرية بعد أن التحق ابنه كلاب إلى البصرة، فأمر أبا موسى الأشعري بأشخاصه إلى أبويهِ (٣٧). وحدث مثل هذا الموقف مع الشاعر المخبل السعدي(٣٨).

وكان عمر ﷺ لا يزدهيه المديح لورعه وتقواه – وقد يروع قائله – إذا كان فيه تجاوز أو خروج عن القصد، سمع راكباً ينشد وهو في طريقه إلى الحج:

[illegible]
بعد النبي صاحب الكتاب

فنخسه عمر بمخصرة معه، وقال: فأين أبو بكر ؟ (٣٩).

ويذهب إلى أكثر من ذلك، فهو عندما يطلع على مديح يعجبه يتمنى أن يكون في أهل بيت رسول الله ﷺ، يروى عن ابن عباس قال: قال لي عمر بن الخطاب ﷺ : أنشدني قول زهير فأنشدته قوله في هرم بن سنان فقال له عمر ﷺ : ((أحسنَ، وما أعلم أحداً أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشم لفضل رسول ﷺ وقرابتهم منه)) (٤٠). ومثل ذلك قول عبد الله بن عمر ﷺ ، فهو عندما سمع رجلاً ينشد بيت الحطيئة:

متى تأتهِ تعشو إلى ضوء نارِهِ تجد خيرَ نارٍ عندها خيرَ موقدِ

فقال: ذاك رسول الله ﷺ إعجاباً بالبيت، يعني [illegible] مثل هذا المديح لا يستحقه إلا رسول الله ﷺ [illegible]. ونسب بعض مصادرنا الأدبية [illegible] أشعاراً لعمر ﷺ ، ويشك في نسبتها إليه، وأحسب إن أغلب الشعر المنسوب إلى الخلفاء الراشدين منتحل لسببين:

١. إن النبي محمد ﷺ قدوتهم في كل شيء، وهو لم ينظم الشعر، بل نزهه الله ﷻ من أن يكون شاعراً.

٢. إن أغلب الأشعار التي تروى لهم رضي الله عنهم لا ترقى إلى بلاغتهم المعروفة في خطبهم ومحاوراتهم ورسائلهم.

عثمان بن عفان-رضي الله عنه-

لم يعتن عثمان بن عفان ﷺ بالشعر كما اعتنى به عمر ﷺ، فلم تحدثنا المصادر إلا قليلاً عن موقف عثمان بن عفان ﷺ من الشعر والشعراء، وهو عندما يلتقي الشعراء لا يسألهم شيئاً من شعرهم إلا ما كان مع أبي زُبيْد الطائي، إذ كان ((يقرّبه ويدينه، ويدني مجلسه، وكان نصرانياً. فحضر ذات يوم عثمان وعنده المهاجرون والأنصار، فتذكروا مآثر العرب وأشعارها فالتفت عثمان إلى أبي زُبَيْد فقال: يا أخا تُبَّع المسيح أَسْمِعْنا بعضَ قولك، فقد أَنُبِّئْتُ أنّك تُجيد فأنشده قصيدته:

مَنْ مُبَلغٌ قومنا النائِينَ إذْ شَحطُوا أنَّ الفُؤادَ إلَيهِم شَيِّقٌ وَلِعُ

ووصف فيها الأسد، فقال عثمان ﷺ : تالله تَفْتَؤُ تذكر الأسَدَ ما حيّيت: والله إني لأحْسبك جباناً))[٤٣].

ويبدو من هذا أن عثمان بن عفان ﷺ لم يشجعه بل ذمه، وهذا يدل على أن الشاعر لم يتمكن من التأثير في نفس الخليفة عثمان بن عفان ﷺ .

وكان ﷺ يعرض عن الشعراء لقلة مروءتهم، روي عن ابن سلام قوله: ((ذكروا عن عثمان بن عفان ﷺ انه آتي بعبد من عبيد العرب، فأراد شراءه، فقيل له: إنه شاعر. قال: لا حاجة لي به، إن الشاعر لا حريم له)) [٤٤].

وفي رواية أخرى: إن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي اشتراه وكتب إلى عثمان بن عفان ﷺ : إني قد اشتريت لك غلاماً حبشياً شاعراً فكتب إليه عثمان لا حاجة بنا إليه

فارده فإنما حظ أهل العبد الشاعر منه إذا شبع أن يشبب بنسائهم وإذا جاع أن يهجوهم)) (٤٥).

ويذكر صاحب الغني أن النابغة الجعدي دخل على عثمان بن عفان ﷺ يستودعه، قال: ((أستودعك الله يا أمير المؤمنين قال: وأين تريد يا أبا ليلى؟ قال: الحق بإبلي فأشرب من ألبانها، فأني منكسر لنفسي.

قال: أتعرباً بعد الهجرة يا أبا ليلى، أما علمت أن ذلك مكروه؟ قال: ما علمته وما كنت لأخرج حتى أعلمك)) (٤٦).

وأذن له عثمان ﷺ ، دون أن يحاوره حول الشعر والشعراء ودون أن ينشده الشاعر الجعدي شيئاً من شعره.

((وقد حاول عثمان ﷺ أن يتبع خطى عمر بن الخطاب ﷺ في تسخير الشعر لصالح الأمة، ونشر مبادئ الإسلام، وكم أفواه الشعراء الهجاءين وتأديبهم)) (٤٧).

كما فعل مع الشاعر ضابيء بن الحارث البرجمي، إذ حبسه، ولم يزل في حبسه إلى أن مات لهجائه المقذع لبني جرول بن نهشل(٤٨). وكذلك تنسب بعض المصادر أبياتاً شعرية وإن كانت قليلة(٤٩).

وقد قال الحصري القيرواني ((وقد ذكر بعض أهل العلم أنه لا يعرف لعثمان شعر)) (٥٠). ولكنه ((كان أروى الناس للبيت والبيتين والثلاثة إلى الخمسة)) (٥١).

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

كان علي بن أبي طالب ﷺ أكثر عناية بالشعر من عثمان ﷺ ، فقد رواه وتمثل به ونظمه، قال سعيد بن المسيب: ((كان أبو بكر ﷺ شاعراً، و عمر ﷺ شاعراً، و علي ﷺ أشعر الثلاثة)) (٥٢). ولعليّ ﷺ رأي في شاعرية أمرئ القيس فهو يفضله على غيره لأنه: لم يقل رغبة ولا رهبة، وإنه كان أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة وفي رواية أصحهم بادرة، وأجودهم نادرة (٥٣).

والشعر عنده ((ميزان القول ورواه بعضهم ميزان القوم)) [٥٤]. وكان علي يعطي الشعراء، ويجزي عن الكلام الحسن، يروى أن إعرابياً وقف علي بن أبي طالب فقال: إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن أنت قضيتَها حمِدتْ الله وشكرتُك، وإن لم تقضِها حَمِدْت الله وعذرتُك، فقال له علي: خُطَّ حاجتك في الأرض، فأني أرى الضُّرَّ عليك، فكتب الإعرابيُّ على الأرض ((إني فقير)) فقال علي : يا قنبر، أدفع إليه حُلَّتي الفلانية، فلما أخذها مثل بين يديه فقال:

كَسَوْتَني حُلَّـةً تَبْلَى مَحَاسِنُـها فَسَوْفَ أَكْسُوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَا حُلَلا
إنَّ الثَّـناءَ لَيُحيي ذِكْرَ صَاحِبِـهِ كَالْغَيْثِ يُحيي نَدَاه السَّهْلَ والجَبَلا
لا تَزْهَدِ الدَّهْرَ فـي عُرْفٍ بَدَأْتَ بِهِ فَكُلُّ عَبْدٍ سَيُجْزَى لاذي فَعَـلا

فقال علي : يا قنبر، أعطِه خمسين ديناراً، أما الحُلَّة فلمسألتك، وأما الدنانيرُ فلأدبك، سمعت رسول الله يقول: ((أنزلُوا الناسَ منتزلَهم)) [٥٥].

يروى أنه قال بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها: [٥٦]

أرى علل الدنيا علي كثيرة وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة وإن الذي دون الممات قليل
وإن افتقادي فاطم بعد أحمد دليل على ألا يدوم خليـل

ونسبت له أشعار في تأريخ الطبري[٥٧]، كما روى ل ه ابن إسحاق عدداً من القصائد في يوم بدر[٥٨]، ويوم أحد[٥٩]، وفي إجلاء بني نظير وقتل كعب بن الأشرف[٦٠]، وفي معركة الخندق[٦١]، وفي بناء مسجد المدينة، وقد شكك ابن هشام في كل ذلك، إذ يعلق بقوله: ((قالها رجل من المسلمين غير علي فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلي)) [٦٢]. أو بقوله: ((وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي بن أبي طالب)) [٦٣].

ورغم الملاحظات التي ثبتها ابن هشام حول الأشعار التي ينسبها ابن إسحاق لعلي ، فإن أحد الباحثين يرى أنها تنسجم وبلاغة علي ، جزالة تناسب ما عرف عنه من فصاحة وأسلوب بليغ، ولا بد أن يكون المصدر الذي نقل عنه ابن إسحاق هذا

الشعر ونسبه لعليﷺ ، على قدر كبير من العلم بالشعر وبالرجال، بحيث يوفق هذا التوفيق في إضافة الأشعار لما يمثلون معانيها في أقوالهم وخطبهم(٦٤).

غير أنه يشكك في الديوان المنسوب لعليﷺ لسببين:

الأول : بعد تلك القصائد ومجافاتها لروح العصر.

الثاني : اختلاف تلك القصائد قوة وضعفاً، مما يدل على أن الذين نسبوا إليه تلك القصائد، مختلفون تتباين ثقافاتهم، وتختلف أزمانهم...

لهذا ولغيره من الأسباب يشك في صحة نسبة أغلب الأشعار التي يتضمنها الديوان(٦٥).

بعض الصحابة

بعد أن أستعرضنا موقف الخلفاء الراشدين من الشعر والشعراء، سنقف عند موقف بعض من الصحابة الكرام الآخرين وبشكل موجز، لأن موقفهم رضي الله عنهم لا يختلف عن موقف الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فهو يستند إلى كتاب الله العزيز وسنة نبيهﷺ .

فابن عباسﷺ ، كان يروي الشعر وينشده وينظمه، وكان يقول: ((إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه من أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب. وكان إذا سئل عن شيْ من القرآن أنشد فيه شعراً)) (٦٦).

وكان يحث على تعلم الشعر، وشعر الحجاز خاصة، لأن لغتهم أوسط اللغات، قال: ((الشعر علم العرب وديوانها فتعلموه وعليكم بشعر الحجاز)) (٦٧). وعندما سئل: هل الشعر من رفث القول؟ سخر من ذلك، وأنشد بيتاً من الشعر فيه ما يخدش الحياء، وقال: ((إنما الرفث عند النساء ثم أحرم الصلاة)) (٦٨).

وكانﷺ يحفظ كثيراً من شعر العرب، وكان ينشد عمرﷺ شعر زهير بن أبي سلمى، فيعجب به، ويسأله: من شاعر الشعراء؟ يروى عنه ((بينما عمر بن الخطابﷺ

وبعض أصحابه يتذاكرون الشعر، فقال بعضهم: فلان أشعر، وقال بعضهم: بل فلان أشعر، قال: فأقبلت، فقال عمر: قد جاءكم أعلم الناس بها، فقال عمر: من شاعر الشعراء يا لبن عباس؟ قال: فقلت: زهير بن أبي سلمى)) (٦٩).

وهو بهذا يتفق مع عمرﷺ في شاعرية زهير وقد أشرنا إلى موقف عمرﷺ من زهير فيما مضى من هذا البحث، ومن شعره لما كف بصره(٧٠).

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وله أشعار أخرى(٧١).

أما عائشة رضي الله عنها فكانت ((كثيرة الرواية للشعر. يقال: إنها كانت تروي جميع شعر لبيد)) (٧٢). كما كانت تروي لغيره، قالت: إني لأروي ألف بيت له، وإنه أقل ما أروي لغيره)) (٧٣).

وكانت رضي الله عنها تدرك قيمة الشعر في تربية الأولاد، لذلك كانت يقول: ((رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم)) (٧٤).

وقال المقداد بن الأسود: ((ما كنت أعلم أحداً من أصحاب رسول اللهﷺ أعلم بشعر ولا قريضة من عائشة رضي الله عنها)) (٧٥).

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: ذهبتُ أسبُّ حسان عند عائشة فقالت: لا تسبُّهُ فإنهُ كان يُنافح عن رسول اللهﷺ))(٧٦).

وكانت رضي الله عنها تنشد الشعر، والنبيﷺ يسمعها، فعندما أنشدت قول زهير بن جناب:

يجزيك أو يُثني عليك فإن مَن أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال النبي ﷺ : ((صدق يا عائشة لا يشكر الله من لا يشكر الناس)) (٧٧).

أما معاوية بن أبي سفيانﷺ كان يتذوق الشعر وينشده ويتمثل به ويقوله، وكان يحذر من التشبيب والهجاء، ويخص على الفخر والأمثال، جاء ذلك في وصيته لعبد

الرحمن بن الحكم، إذ قال له : ((يابن أخي إنك شهرت بالشعر، فإياك والتشبيب بالنساء فإنك تغّر الشريفة في قومها، والعفيفة في نفسها، والهجاء، فإنك لا تَعْدو أن تُعادي كريماً أو تستثير به لئيماً، ولكم افخر بمآ ثر قومك، وقل من الأمثال ما توقر به نفسك وتؤدب به غيرك)) [٧٨]. ومن شعره: [٧٩]

إذا لم أجُد بالحلم مني عليكم فمن ذا الذي بعدي يُؤمل للحلم
خذيها هنيئاً واذكري فعل ماجد حباك على حرب العداوة بالسلم

وكان يقول: [٨٠] ((يجب على الرجل تأديب ولده، والشعر أعلى مراتب الأدب، وقال: اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم، فلقد رأيتني ليلة الهرير بصفين- وأنا أريد الهرب لشدة البلوى- فما حملني على الإقامة إلا أبيات عمر بن الأطنابة:

أبتْ هِمّتي وأبى بلائي وأخْذي الحمد بالثمن الربيح
وإقحامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانكِ تُحْدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحاتٍ وأحمى بعدُ عن عرضِ صحيحِ

ولو تتبعنا الآثار الأدبية والنقدية والأبيات الشعرية للصحابة رضي الله عنهم لوجدنا ما لا يحصى وحسبنا ما ذكرناه من أمثلة وشواهد، وضحت موقف الإسلام من الشعر ((فإذا كان الرسولﷺ يسمعهُ وأبو بكر ينشده، فهل للتقليد والإقتداء أرفع ن هذا... فليس أحدٌ من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر أو تمثل به أو سمعه فرضيه)) [٨١]. ومن يتصفح السيرة النبوية لابن هشام يجد غير قليلٍ من الشعر ينسب إلى الصحابة رضي الله عنهم، وإن كان ابن هشام يُشير في أحيانٍ كثيرة إلى انتحال هذه الأشعار المنسوبة إليهم، إذ بعد أن يرويها يذكر عبارتهُ الشهيرة: وأكثر أهل العلم ينكر هذه القصيدة ...

الخاتمة:

في خاتمة البحث أرى من المفيد أن ندون أبرز النتائج التي توصل إليها، ويمكن تلخيصها بما يأتي:

١. أقتفى الصحابة رضي الله عنهم أثر الرسول ﷺ في موقفهم من الشعر والشعراء، فكانوا يشجعون شعر الحكمة والموعظة، ويشجعون الشعراء الذين يذودون بشعرهم عن الإسلام وقيمه.

٢. حارب الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة رضي الله عنهم الشعر المقذع الذي يتناول أعراض المسلمين، وقد مّر بنا موقف عمر بن الخطاب ﷺ من الحطيئة وموقف عثمان بن عفان ﷺ من الشاعر البرجمي.

٣. كان الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ كثير الحفظ، كثير التمثل بالشعر الجاهلي، وهو أعلم قريش بالأيام والأنساب.

٤. أما عمر بن الخطاب ﷺ ، فكان أكثر الصحابة عناية بالشعر وأنفذهم فيها معرفة، وهو من أنقد أهل زمانه، وتعد إشارته النقدية من أوليات النقد العربي في القرن الأول الهجري.

٥. أوصى عمر ﷺ الصحابة بتعلم الشعر وروايته، لأنه يهذب المنطق، ويزيد اللسان فصاحة، ويُعرِّفُ بالفضائل والمآثر، ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق وتنهى عن مساويها.

٦. وكان ﷺ يحاسب الشاعر الذي يخرج بشعره عن هذه القيم والمُثل، وقد يؤدي به الأمر أن يعزل بعضهم لأبيات شعرية قالها، هذه ما حدث لواليه على ميسان النعمان بن عدي.

٧. أما الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ، فكان يعرض عن الشعراء، ولم يتمكن الشعراء من التأثير في نفسه، ومع ذلك كان أروى الناس للبيت والبيتين والثلاثة إلى الخمسة على رأي الطبري.

٨. كان الخليفة علي بن أبي طالب﵁ أكثر عناية بالسعر من عثمان﵁ ، فقد رواه وتمثل به ونظمه، قال سعيد بن المسيب كان أبو بكر شاعراً وعمر شاعراً، وعلي أشعر الثلاثة.

٩. شكك بعض الدارسين في الديوان المنسوب لعلي بن أبي طالب﵁ ، رغم أن بعض أشعاره تنسجم وبلاغة علي﵁ .

١٠. وخلاصة القول ما قاله الإمام القرطبي: فليس أحدٌ من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر أو تمثل به أو سَمِعه فرضيه.

هوامش البحث

(١) الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري، جـ٢ ص: ٣٩.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي جـ١٣ ص: ١٤٧.
(٣) الطبقات الكبير، الزهري، جـ٢ ص: ٩٥.
(٤) السيرة النبوية، ابن هشام، جـ١ ص: ٢٦٧.
(٥) البيان والتبين، الجاحظ، جـ٤ ص: ٧٦.
(٦) الإستيعاب في معرفة الصحاب، ابن عبد البر، جـ١ ص: ٣٢١.
(٧) الأمالي، القالي، جـ١ ص: ٢٤١.
(٨) جامع البيان، الطبري، جـ٢٢ ص: ٢٧.
(٩) السراج المنير، العزيزي، جـ٣ ص: ٢٩٤.
(١٠) يس: ٦٩.
(١١) السيرة النبوية، ابن هشام، جـ٢ ص: ٢٣٨.
(١٢) م ن، جـ٢ ص: ٢٤٢-٢٤٣ وانظر العمدة، جـ١ ص: ٣٢.
(١٣) السيرة النبوية، جـ٢ ص: ٢٤٤.
(١٤) م ن، ص: ١٣٥.

(١٥) الطبقات، ابن سعج، جـ٣ ص: ١٣٥.
(١٦) انظر: الزهرة، الأصبهاني جـ٢، ص: ٥٠٦ وزهر الأدب، الحصري جـ١ ص: ٧٢، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي جـ١٣ ص: ١٤٧.
(١٧) طباق فحول الشعراء، ابن سلام، جـ١ ص: ٢٤.
(١٨) زهر الآداب، الحصري جـ١ ص: ٥٨.
(١٩) العمدة ابن رشيق جـ١ ص: ٣٣.
(٢٠) العقد الفريد، ابن عبد ربه، جـ٥ ص: ٢٧٤.
(٢١) طبقات فحول الشعراء جـ١ ص: ٦٣ والشعر والشعراء، ص: ٦٩ ونقد الشعر، قدامه بن جعفر، ص: ٩٥ والعمدة، جـ١ ص: ٩٨.
(٢٢) الشعر والشعراء ص: ٧٣ والعمدة جـ١ ص: ٨١ والعقد الفريد جـ٥ ص: ٢٩٢.
(٢٣) زهر الآداب، الحصري جـ٣ ص: ٧٦٠.
(٢٤) نفسه.
(٢٥) العقد الفريد، ابن عبد ربه جـ٥ ص: ٢٨١.
(٢٦) جمهرة أشعار العرب، القرشي، جـ٢ ص: ٥٩.
(٢٧) م ن ، ص: ٥٩.
(٢٨) طبقات فحول الشعراء، جـ١ ص: ٥٦.
(٢٩) العقد الفريد جـ٥ ص: ٢٧٠.
(٣٠) طبقات فحول الشعراء، جـ١ ص: ٢٠٩.
(٣١) السيرة النبوية، جـ٤ ص: ٩٨.
(٣٢) السيرة النبوية، جـ٤ ص: ٩.
(٣٣) العمدة، جـ٢ ص: ١٧٠.
(٣٤) العمدة، ابن رشيق جـ١ ص: ١٧٠.
(٣٥) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص: ٢٠٢.
(٣٦) طبقات فحول الشعراء جـ١ ص ١٨٧-١٨٨ والشعراء ص: ٢٥٩.

(٣٧) طبقات فحول الشعراء جـ١ ص: ١٩٠-١٩١.
(٣٨) الأغاني، الأصفهاني جـ١٣ ص: ١٩٠ ط دار الكتب.
(٣٩) تأريخ الطبري جـ٤ ص: ٢٢٠.
(٤٠) م ن، جـ٤ ص: ٢٢٣ وانظر العقد الفريد جـ٥ ص: ٢٩١.
(٤١) العقد الفريد جـ٥ ص: ٢٧١.
(٤٢) انظر الزهرة، الأصبهاني جـ٢ ص: ٥٠٦ والعمدة جـ١ ص: ٣٣-٣٤ وزهر الآداب جـ١ ص: ٧٤ والروض الأنف جـ١ ص: ٢١٨ و جـ٢ ص: ٣٧٧.
(٤٣) طبقات فحول الشعراء جـ١ ص: ٥٩٤.
(٤٤) طبقات فحول الشعراء جـ١ ص: ١٨٧.
(٤٥) الشعر والشعراء ص: ٢٥٨.
(٤٦) الأغاني، جـ٥ ص١٠ طبعة دار الكتب.
(٤٧) الإسلام والشعراء ص: ١١٤.
(٤٨) الشعر والشعراء ص: ٢١٨-٢١٩
(٤٩) انظر الفرج بعد الشدة، القاضي التنوخي، جـ١ ص: ٤٣٥ وزهر الآداب، جـ١ ص: ٧٦ والعمدة، جـ١ ص: ٣٤.
(٥٠) زهر الآداب جـ١ ص: ٧٦.
(٥١) تأريخ الطبري جـ٤ ص: ٢٨٠.
(٥٢) العقد الفريد، جـ٥ ص: ٢٨٣.
(٥٣) الأغاني، جـ١٦ ص: ٢٩٧ طبعة دار الثقافة وانظر العمدة جـ١ ص: ٤١.
(٥٤) العمدة جـ١ ص: ٢٩.
(٥٥) العمدة جـ١ ص: ٢٩.
(٥٦) زهر الآداب جـ١ ص: ٨٢.
(٥٧) تأريخ الطبري، جـ٢ ص: ٥٣٣.
(٥٨) السيرة النبوية، جـ٣ ص: ١١-١٢.

(٥٩) م ن ، جـ٣ ص: ١٧٤-١٧٥.
(٦٠) م ن، جـ٣ ص: ٢٠٦-٢٠٧.
(٦١) م ن، جـ٣ ص: ٢٣٦.
(٦٢) م ن، جـ٣ ص: ١٧٤.
(٦٣) م ن، جـ٣ ص: ٢٣٦.
(٦٤) الإسلام والشعر، ص: ١١٩.
(٦٥) م ن، ص: ١٢٥-١٢٨.
(٦٦) العمدة جـ١ ص: ٣٠.
(٦٧) العقد الفريد، جـ٥ ص: ٢٨١.
(٦٨) العمدة، جـ١ ص: ٣٠.
(٦٩) تأريخ الطبري، جـ٤ ص: ٢٢٣.
(٧٠) العقد الفريد، جـ٥ ص: ٢٨٧
(٧١) انظر العمدة، جـ١ ص: ٣٧، والعقد الفريد جـ٥ ص: ٢٧٤.
(٧٢) العمدة، جـ١ ص: ٣٠.
(٧٣) العقد الفريد، جـ٥ ص: ٢٧٥.
(٧٤) صحيح البخاري، جـ٤ ص: ٧٤.
(٧٥) م ن، جـ٥ ص: ٢٧٥.
(٧٦) م ن، جـ٥ ص: ٢٧٦.
(٧٧) م ن، جـ٥ ص: ٢٧٦.
(٧٨) العقد الفريد، جـ٥ ص: ٢٨١.
(٧٩) العمدة، جـ١ ص: ٢٩.
(٨٠) م ن، جـ١ ص: ٢٩.
(٨١) الجامع لأحكام القرآن، جـ١٣ ص: ١٤٧.

المصادر والمراجـــع

١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر ٤٦٣هـ) طبعة البجاوي، مصر.
٢. الإسلام والشعر، د.سامي مكي العاني، مطابع الرسالة، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٨٣.
٣. الإسلام والشعر، د.يحيى الجبوري، مكتب النهضة بغداد، مطبعة الرشاد، ١٩٦٤.
٤. الأغاني، أبو فرج علي بن الحسين بم محمد الأصفهاني (٣٦٥هـ) طبعة دار الكتب المصرية، وطبعة دار الثقافة بيروت.
٥. الأمالي لأبي علي القالي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٦.
٦. البيان والتبيين، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
٧. تأريخ المم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت ١٩٦٢.
٨. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق إبراهيم أطيفش، ١٩٦٥.
٩. جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٩٥٤.
١٠. جمهرة أشعارالعرب لأبي زيد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق خليل شرف الدين، دار مكتب الهلال، بيروت ط٢، لسنة ١٩٩١.
١١. الروض الأنف في تفسير ما أشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام عبد الرحمن السُهيلي، القاهرة، ١٩١٤.
١٢. زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق الحصري القيرواني (٤٥٣هـ) تحقيق د.زكي مبارك، دار الجيل، ط٤، ١٩٧٤.
١٣. الزهرة لأبي بكر محمد بن داوّد الأصبهاني، تحقيق د.إبراهيم السامرائي و د.نوري القيسي، مكتبة المنار، الزرقاء، ط٣، ١٩٨٥.

١٤. السراج المنير، العزيزي، طبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧.
١٥. السيرة النبوية لابن هشام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ١٩٧١.
١٦. الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ) تحقيق د.مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٥.
١٧. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ) دار الفكر بيروت–بغداد، ١٩٨٦.
١٨. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجُمحي(٢٢٤هـ) تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤.
١٩. الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري (٢٣٠هـ) طبعة ليدن، ٣٢٢هـ.
٢٠. العقد الفريد لأبي احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق احمد أمين وآخرين، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٠.
٢١. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥ط ١٩٨١.
٢٢. الفائق في غريب الحديث والأثر، جار الله بين محمد بن عمر الزمخشري (٥٨٣هـ) طبعة حيدر آباد، الهند.
٢٣. الفرج بعد الشدة، القاضي التنوخي (٣٨٤هـ) دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٥.
٢٤. نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (٣٢٧هـ) تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية ، بيروت.